



محضر خارق للطبيعة



الكلمات المغوية والصور المغرية والأفلام الخليعة... كلها موجودة منذ زمن بعيد، وكذلك طبيعة الجهاز العصبي عند الإنسان، وأنه يقوم بإفراز الناقل العصبي عندما تلوح له فرصة جديدة للتزاوج هي أيضًا فطرة قديمة قدم الخلق.

فما الذي يجعل المرنثيات الجنسية المتوفرة على الإنترنت اليوم

شديدة الإغراء، وبهذا الشكل القهري؟

ليس ذلك بسبب التجديد الدائم فقط، ولكن لأن إفراز الدوبامين يزداد استجابة لمشاعر ومحفزات أخرى بالإضافة إلى التجديد، وجميع هذه المحفزات موجودة بشكل ظاهر في الأفلام الإباحية المتوفرة على الإنترنت:

« المفاجأة والصدمة^[١٩]، وما الذي لا يعتبر صادمًا في الأفلام الإباحية اليوم؟

« الحصر النفسي (القلق)^[٢٠]، كالذي تشعر به عندما تشاهد أفلامًا جنسية لا تتماشى مع قيمك وأخلاقك.

« السعي والبحث^[٢١]، وما يصاحبه من التشويق والترقب.



تجربة نيكولاس تنبرغن:

ينطبق على المريثات الجنسية المتوفرة على الإنترنت اليوم صفة ما يسميه العلماء (المحفز الخارق للطبيعة)^[٢٢]. قبل سنوات عديدة، اكتشف العالم الحائز على جائزة نوبل (نيكولاس تنبرغن)^(١) أن بالإمكان خداع الطيور، والفراشات، وحيوانات أخرى، وجعلها تفضل البيوض والأزواج الزائفة على بيوضها وأزواجها الحقيقية. إناث الطيور -على سبيل المثال- جاهدن كي يرقدن على بيوض تنبرغن الزائفة، والتي صنعها من الجص لتبدو كبيرة ومزققة بألوان زاهية، بينما تركز بيوضهن الحقيقية المرقطة بألوان باهتة مهملة لتتغفن. وذكور الخنفساء المرصعة أهملوا التزاوج مع الإناث من نوعهم، وبدلوا جهودًا عقيمة في محاولاتهم المستميتة للتزاوج مع القعر الغائر لزجاجة الشراب ذات اللون البني^[٢٣]. بالنسبة لذكر الخنفساء، فإن زجاجة الشراب الملقاة على الأرض تبدو وكأنها أكبر وأجمل وأكثر الإناث الذين رأهم إغراء وإثارة.

الأجدر أن يظل اهتمام الحيوان محصورًا في نطاق التزاوج الطبيعية، ولكن في هذه الحالات بدلًا من أن تتوقف استجابة الحيوان الغريزية للمحفزات

(١) حاز (نيكولاس تنبرغن) على جائزة نوبل في الطب وعلم وظائف الأعضاء عام ١٩٧٣م بالاشتراك مع (كارل فيش) و(كونراد لورينز).



عند هذا الهدف، فإن الفطرة المبرمجة في دماغه تواصل حثه على الاستجابة النشطة للمحفزات الزائفة، ونتيجة لذلك فإن هذه المحفزات الزائفة تغري الحيوان، وتستدرجه إلى خارج نطاق مهمة التزاوج بالكلية. سمى تبرغن هذه المحفزات الخادعة (محفزات فوق الطبيعية)، ويشار إليها اليوم في الغالب على أنها (محفزات خارقة للطبيعة).

ما هي المحفزات الخارقة للطبيعة؟

المحفزات الخارقة للطبيعة هي:

نسخ مبالغ فيها من المحفزات الطبيعية، ننخدع بها، فنراها ذات قيمة. قد لا نتوقع -مثلاً- أن يفصل القرد صورة الأنثى على الأنثى الحقيقية، إلا أننا قد نصاب بالدهشة عندما نجد أن القرود مستعدة أن تدفع غرامة (تتنازل عن تناول العصير المعروض عليها) مقابل أن تتفرج على صور لمؤخرات إناث القرود^[٢٤]. فليس مستغرباً -والحال هذه- أن ندرك بأن المريئات الجنسية على الإنترنت بإمكانها أن تحتطف الدائرة العصبية للمكافأة في دماغ الإنسان، وتحرفها عن الفطرة السليمة.



ما الذي يجعلنا نضع محفز خارق للطبيعة على قمة أولوياتنا؟

عندما نضع محفزًا خارقًا للطبيعة على قمة أولوياتنا، فإننا نفعل ذلك لأن هذا المحفز سبب زيادة كبيرة في إفراز الدوبامين في جهاز المكافأة في أدمغتنا، وبدرجة أكبر مما يسببه المحفز الطبيعي الذي يوازيه.

لماذا المجالات الإباحية التي شاعت في الماضي ما كان بإمكانها أن تنافس الزوجة الحقيقية؟

بالنسبة لمعظم مشاهدي المثيرات الجنسية، فإن المجالات الإباحية التي شاعت في الماضي ما كان بإمكانها أن تنافس أو تبزّ الشريكة الحقيقية،



وما يُعرض في طيات صفحات مجلة (البلاي بوي) ما كان بإمكانها أن توفر نسخة طبق الأصل عن الإشارات والإيحاءات التي تعلموا أن يربطوها بالعلاقة الجنسية، مثل نظرات العيوان، واللمس، والعطر، والإثارة التي تصاحب الغزل، والرقص، والمداعبة... وغيرها، ولذلك فإن درجة الإثارة عند مشاهدة الصور المعروضة في المجالات لا ترتقي إلى درجة الإثارة التي يوفرها المحفز الطبيعي!

ما السبب الذي جعل المرئيات الجنسية عبر الإنترنت تلعب دور المحفزات الخارقة للطبيعة؟

لو تفحصنا المرئيات الجنسية التي تعرض على المواقع الإباحية على الإنترنت، نجد أن المحفزات الخارقة للطبيعة منسوجة ومتشابكة في بنيتها. فهي:

أولاً: توفر فيضاً لا ينتهي من الحسناوات المغريات بكبسة زر، والأبحاث تؤكد بأن التجديد والترقب الناتجان عن عملية البحث وتصفح المواقع على الإنترنت يفاقم أحدهما الآخر، ويزيدان من مستوى الإثارة، وبالتالي يمكن أن يسببا تغييرات في مسار الروابط بين العصبونات في الدائرة العصبية للمكافأة في الدماغ^[٢٥].



وثانيًا: تعرض المواقع الإباحية على الإنترنت أثداء مكبرة اصطناعياً لدى النساء، وأعضاء ذكورية هائلة بفعل الفياغرا لدى الرجال، وهمهمات وحركات غريزية مبالغ فيها، وجماع متكرر، وجنس جماعي، وغيرها من السيناريوهات التي تعرض ممارسات جنسية مبالغ فيها، وبعيدة عن الواقع.

وثالثًا: الإثارة التي تسببها مشاهدة الأفلام تفوق الإثارة الناجمة عن مشاهدة الصور الفوتوغرافية المنشورة في المجلات بمراحل، والأفلام التي تعرض على مواقع التيوب قصيرة، وقد لا تتعدى في مدتها دقائق معدودة، ولكنها تعرض للمشاهد ممارسات جنسية ساخنة وجريئة. عند مشاهدة صور النساء العاريات، فإن كل ما لدى المشاهد هو قدرته على التخيل، أن يتخيل ما الذي سيحصل بعد مشاهدة الصور، وبالنسبة لمراهق في الثالثة عشرة من جيل ما قبل الإنترنت... لم يكن بإمكانه أن يتخيل الكثير. وبالمقارنة، ففي وجود هذا السيل الذي لا يخف من أفلام (لا أصدق ما رأيت عيناى)، فإن ما يشاهده الفتى المراهق على الإنترنت غالباً ما يفوق توقعاته، ولهذا يسجل الدماغ مستوى أكبر من الإثارة^[٢٦]. وضع في حسابك أيضاً أن الإنسان يتعلم من مراقبة الآخرين، وبالتالي فإن مشاهدة الفيلم تعطي دروساً أبلغ وأقوى في (كيف تصنع عندما...) مما تعطيه مشاهدة الصور الفوتوغرافية.



المواقع الإباحية على الإنترنت تعرض المحفزات الجنسية الخارقة للطبيعة بوفرة، ودون حدود أو ضوابط، والنتيجة أن مرتادي المواقع الإباحية يشعرون أن الإثارة الجنسية المصطنعة على الإنترنت أكثر جاذبية وإغراء من زوجاتهم. تبدو هذه الظاهرة من غرابتها أقرب إلى الخيال العلمي إلى درجة يمكنها أن تجعل تبرغين يقول: «هذا هو بالضبط ما كنت أتحدث عنه!».

لماذا من الصعب على العلاقات الاجتماعية الواقعية أن تنافس الأفلام الإباحية؟

إن إقبال مرتادي المواقع الإباحية على مشاهدة المثيرات الجنسية على الإنترنت ليس بالضرورة لأنهم يريدون أن يحنوا ظهورهم لساعات أمام شاشات الحاسوب وهم يحدقون في المرئيات الجنسية المعروضة، أو ينقرون بحثًا عن مواد جديدة، فهم على الأغلب يفضلون أن يمضوا وقتهم بالتوصل مع أصدقائهم، أو التعرف على أصدقاء جدد، وربما البحث عن زوجات المستقبل. إلا أنه من الصعب على العلاقات الاجتماعية الواقعية أن تنافس الأفلام الإباحية على مستوى استجابة الدماغ للمحفزات، وخاصة عندما يضاف للمعادلة عدم وجود ضمانات لمستقبل العلاقات الاجتماعية، والتقلبات المحتملة في العلاقات العاطفية^(١).

(١) وقد توجد عوائق أخرى للزواج الشرعي مثل: ضيق ذات اليد أو عدم توفر المسكن، ولكن كل هذه العوائق لا تبرر تعويض الدماغ لمخاطر الإباحية الجنسية، وإلا فسنكون كالمستجير من الرمضاء بالنار.



وقد عبّر (نوح تشيرش) عن ذلك في مذكراته (الأحقق: مدمن على إباحية الإنترنت)⁽¹⁾ فيقول: «ليس لأنني لم أكن أرغب بعلاقة جنسية حقيقية، ولكن لأن السعي إلى إقامة علاقة عاطفية كان في الواقع أصعب بكثير، وأكثر إرباكًا من الركون إلى مشاهدة الأفلام الإباحية».

وقد وجدت هذه الفكرة صداها في الكثير من تصريحات أعضاء المنتديات: «مررت بفترة كنت فيها أعزبًا، وكنت أعيش في بلدة صغيرة نائية، فبدأت أمارس الاستمناء بشكل متكرر أثناء مشاهدة الأفلام الإباحية، وقد ذهلت من السرعة الفائقة التي انزلت بها في وحل هذه العادة المقيتة، بدأت أتغيب أيامًا عن عملي لأتصفح المواقع الإباحية، ورغم ذلك لم أقدر مغبة ما كان يحدث لي، إلى أن كنت يومًا في السرير مع امرأتي ووجدت نفسي أحاول جاهدًا أن أتذكر مقاطع وصورًا إباحية لتساعدني على الانتصاب. ما كان بحسباني يومًا أن شيئًا كهذا يمكن أن يحدث لي، ولحسن الحظ فقد كان لدي أساس متين وعلاقة جنسية صحية وسليمة قبل أن أنزلق في وحل الإباحية الجنسية، فأدركت الفرق، وبعد أن أقلعت تمامًا عن ممارسة العادة السرية رجعت إلى سابق عهدي».

(1) wack: addicted to internet porn» by Noah Church»



لماذا في هذا العصر لا تبدو في الأفق أية بوادر للتخلص من

المحفزات الجنسية الخارقة للطبيعة؟

في هذا العصر لا تبدو في الأفق أية بوادر للتخلص من المحفزات الجنسية الخارقة للطبيعة، فصناعة الإباحية الجنسية بدأت فعلياً بعرض منتجاتها في الأفلام الثلاثية الأبعاد، وبتقنية الإنسان الآلي^[٢٧]. وحتى اللعب والآلات اليدوية المصنّعة لأهداف الإثارة الجنسية^[٢٨]، صار بالإمكان برمجتها مع حاسوب المستهلك، بحيث يتزامن عملها البدني^[٢٩] مع شعوره بالتهيج الجنسي الناجم عن مشاهدة الفيلم على الشاشة.

أين تكمن خطورة التعرض للمحفزات الخارقة للطبيعة؟

خطورة التعرض للمحفزات الخارقة للطبيعة بهذه الكثافة تكمن في زيادة احتمال حدوث هذه السلسلة من التأثيرات المتتالية:

- « أن يُسجل في دماغنا أن هذا المحفز ذو قيمة متميزة، كأن يكون نسخة مبالغ فيها من شيء عرفه أجدادنا، وعرفنا نحن أيضاً بان إغراءه لا يُقاوم مثل الطعام الغني بالسرعات الحرارية، أو الإثارة الجنسية.
- « أن يكون متوفراً بسهولة ويسر، وبتمويل لا ينضب، بشكل غير متوفر في الواقع، ولا يمكن محاكاته في الطبيعة.
- « أن يتوفر بتشكيلة واسعة، وتجديد مستمر.
- « ومن ثم نقبل على استهلاكه بإفراط، ولفترة طويلة.



ما وجه الشبه بين الوجبات السريعة والمثليات الجنسية عبر الإنترنت؟

الوجبات السريعة المتوفرة بأثمان زهيدة تحقق كل الشروط السابقة، ومتعارف عليها بأنها أيضًا محفزات خارقة للطبيعة. بإمكانك أن تجرّع علبة مشروب غازي سعة ٣٢ أونصة وتأكل كيسًا من شرائح البطاطس المقلية بسرعة ودون أن تتردد، ولكن هل بإمكانك أن تأكل وجبة تعادلها في عدد السعرات الحرارية مكونة من اللحوم المقددة والجزر المسلوق؟ وبنفس السهولة؟!

وبالمثل، فإن المشاهدين يقضون الساعات الطوال وهم يتصفحون مكتبات الأفلام في المواقع الإباحية، ويبحثون عن فيلم الختام المثالي، ويظل مستوى الدوبامين في أدمغتهم مرتفعًا بدرجة غير طبيعية لفترات طويلة، ويفعلون ذلك يوميًا بعد يوم. ولكن حاول أن تتخيل أن يقضي الإنسان الأول نفس العدد من الساعات، يمارس الاستمناء، وهو ينظر إلى الرسوم المنقوشة على حائط الكهف، وأنه يفعل ذلك بشكل روتيني... غير ممكن!



لماذا خطر المثيرات الجنسية على الإنترنت يتعدى كونها محفزات خارقة للطبيعة؟

خطر المثيرات الجنسية على الإنترنت يتعدى كونها محفزات خارقة للطبيعة، فالإنترنت كوسيلة لعرض وتوزيع منتجات الإثارة الجنسية تشكل بحد ذاتها أخطارًا استثنائية وغير مسبوقة.

أولاً: الدخول إلى المواقع سهل جداً، ومتوفر على مدار الساعة بشكل سري ومجاني.

ثانياً: يبدأ معظم مشاهدي المثيرات الجنسية بمشاهدتها مع بداية مرحلة البلوغ، عندما تكون أدمغتهم في قمة لدونتها، وفي أوج عرضتها لخطر الإدمان، ولإمكانية تغيير مسار الروابط العصبية فيها.

وأخيراً: سعة المعدة تضع حداً طبيعياً لاستهلاك الطعام، وكذلك النفور الطبيعي الذي يتتابنا عندما نشعر بالشبع، وبأننا لا نستطيع أن نأكل لقمة أخرى من الطعام. ولكن -عدا عن الحاجة للنوم، واستعمال دورة المياه- فليس هناك حد بدني واضح للاكتفاء من مشاهدة الأفلام الإباحية على الإنترنت. بإمكان مرتاد المواقع الإباحية أن يحافظ على مستوى عالٍ من الإثارة والتهيج الجنسي أثناء مشاهدته الأفلام الإباحية لمدة ساعات دون أن يتوَلَّد لديه أي شعور بالاكتفاء أو النفور.



والنهم في مشاهدة المراتب الجنسية يبدو للشخص وكأنه استجابة لوعد بالمتعة المرتقبة، تذكر أن الرسالة التي يرسلها الدوبامين ليست (القناعة) بما حصلت عليه، وإنما الحُصّ على أن تستمر (بالسعي والبحث)، وستأتيك المتعة والسعادة (عما قريب).

«كنت أسعى لإثارة شهوتي إلى ما قبل الذروة بقليل ثم أتوقف، وأستمر في مشاهدة الأفلام الإباحية، وأبقى على نفسي على مستوى متوسط من الإثارة، ودائمًا متهيج. كنت مهتمًا بمشاهدة الأفلام أكثر من اهتمامي بالاستمتاع، وكنت أظل أسيرًا للتصفح والبحث في المواقع الإباحية حتى أصل إلى درجة الإرهاق، وعندها أشعر بالرعشة والقذف كنوع من الاستسلام».

